الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنُّع لمخلوق ، أو اكتساب محمدة عند الناس ، أو محبة مدح من الخلق أو شيء سوى التقرب إلى الله تعالى ، ثم قال : الإخلاص تصفية العقل عن ملاحظة الخلق ، والصدق هو التنقّي عن مطالعة النفس (مطاوعة النفس) .

* * *

يا مأوى كل شر!!

يقول الإمام الشعراني في طبقاته الكبرى :

كان سعيد بن المسيب يقول لنفسه إذا دخل الليل : قومي يا مأوى كلِّ شر ، والله لأدعنَّك تزحفين زحف البعير ، فكان يصبح وقدماه منتفختان ، فيقول لنفسه : بذا أمرتِ ، ولذا خلقت!

ذلك أن التهجد في الليل سنَّة نبوية أمرنا القرآن بها ، فهي فرض على النَّبي ﷺ ، ونافلة لأمته :

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾

[الإسراء : ٧٩] .

وفي الحديث القدسي الذي يرويه البخاري عن أبي هريرة :

« ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، ولئن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه » .

وقال ابن حرملة رحمه الله : حفظت صلاة سعيد بن المسيب وعمله بالنهار ، فسألت مولاه عن عمله بالليل ، فأخبرني قائلاً : وكان لا يدع أن

يقرأ (بصاد والقرآن) كل ليلة ، فسألته لم ذلك ؟ قال : لقد سألته عن ذلك فقال : كان رجل من الأنصار يصلي إلى شجرة ، فقرأ بسورة صاد ، فلما مرَّ بالسجدة سجد ، وسجدت الشجرة معه ، فسمعها تقول : اللهم أعطني بهذه السجدة أجراً ، وضع عني بها وزراً ، وارزقني بها شكراً ، وتقبَّلها منّي كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام[1] .

وقال الإمام الأوزاعي : كانت لسعيد بن المسيب فضيلة لا نعلمها كانت لأحد من التابعين : لم تفته الصلاة في جماعة أربعين سنة[2] .

* * *

أول خطبة وآخر خطبة :

لما بويع سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه خطب في الناس قائلاً :

أيها الناس ، أول كل مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها ، وما كنا خطباء ، وسيعلمنا الله .

وفي خطبة بعدها قال : أيها الناس اتقوا الله فإن تقوى الله غنم ، وإن أكسب الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر ، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً ، وقد يلقى الحكيم جوامع الكلم ، ولكن الأصمَّ ينادى من مكان بعيد ، واعلموا أن من كان الله له لم يخف شيئاً ، ومن كان الله عليه فمن يرجوه بعده ؟

---

(١) طبقات ابن سعد : ٥/ ١٣٢ .

(٢) شذرات الذهب : ١/ ١٠٣ وتاريخ الذهبي : ٤/ ٥ .